﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: 112]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعدَ إبطالِ ادِّعاءِ أهلِ الكتابِ بحصرِ دخولِ الجنّةِ فيهم، جيءَ بحرفِ ﴿بَلَىٰ﴾ المفيدِ إثباتَ دخولِ الجنَّةِ لمَنْ أسلمَ، بإخبارٍ يُبطلُ دعوَى اليهودِ والنصارَى أنّ الجنّةَ حكرٌ عليهم، وهُنَا قالَ لهم الحقُّ تباركَ وتعالَى: نَعَمْ، إنّما يدخلُ الجنّةَ مَن كانَ متّصفًا بصفاتِ الإسلامِ والإحسانِ والإتقانِ في العملِ، ويثبتُ الإثابةَ لأهلِ الإنابةِ، فالمناسبةُ بينَ الآيتينِ بحرفِ ﴿بَلَىٰ﴾ بديعةٌ أنيقةٌ؛ إذْ ما بعدَه أبطلَ ما قبلَه، وأنصفَ أهلَ الحقِّ بإثباتِ دخولِ الجنّةِ لهم دونَ سواهُم، بنفيِ الخوفِ والحزنِ عنهُم، وهذا غايةُ ما يرجوهُ المسلِّمُ وجهَه للّهِ ربِّ العالمينَ.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿أَسْلَمَ﴾: فعلٌ ماضٍ، جذرُه اللغويّ (سلم)، و"معظمُ بابِه منَ الصِّحَّةِ والعافيةِ ... فالسّلامةُ أنْ يسلمَ الإنسانُ منَ العاهةِ والأذَى"[1] ومنهُ الإسلامُ، وهو من الألفاظِ التي اكتسبتْ دلالاتٍ جديدةً بعدَ مبعثِه ﷺ.

"وأَسْلَمَ أمرَه إلى اللّهِ، أيْ: سَلَّمَ وأَسْلَمَ، أي: دخلَ في السِّلْمِ، وهو الاستسلامُ"[2] أصبحَ الذي يُسلمُ، بمعنَى دخلَ في الإسلامِ.

ومعنَى الإسلامِ الحقيقيّ أنْ يكونَ معَ الاعترافِ اعتقادٌ بالقلبِ، ووفاءٌ بالفعلِ، واستسلامٌ للّهِ في جميعِ ما قضَى وقدّرَ، كما ذُكرَ عن إبراهيمَ عليه السلام"[3] في قولِه تعالَى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: 131].

ومعنَى إسلامِ الوجهِ في الآيةِ "هو تسليمُ الذّاتِ لأوامرِ اللّهِ تعالَى، أيْ: شدّةُ الامتثالِ؛ لأنّ أسلمَ بمعنَى ألقى السِّلاحَ وتركَ المقاومةَ"[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سلم).
(2) الجوهري، الصّحاح: (سلم).
(3) الراغب، المفردات: (سلم).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/674.

2) ﴿وَجْهَهُۥ﴾: اسمٌ ثلاثيّ مجردٌ، أصلُ حروفِه (وجه) ولهُ "أَصلٌ واحدٌ يدلُّ على مقابلةِ لشيءٍ، والوجهُ مستقبلٌ لكلِّ شيءٍ"[1].

و"أصلُ الوجهِ: الجارحةُ ... ولـمّا كانَ الوجهُ أوّلَ ما يستقبلُك، وأشرفَ ما في ظاهرِ البدنِ استُعمِلَ في مستقبلِ كلِّ شيءٍ"[2].

والمقصودُ بالوجهِ في أحايينَ كثيرةٍ ذاتُ الإنسانِ "وإنّما عبّرَ بهِ عن الذّاتِ في لسانِ العربِ؛ لأنّه أشرفُ الأعضاءِ فيهِ"[3] فهو تعبيرٌ مجازيّ، عُبّرَ بالجزءِ وأريدَ الكلُّ، وأريدَ في هذهِ الآيةِ ذاتُ الإنسانِ فـ"عبّرَ عن الذّاتِ بالوجهِ؛ لأنّه البعضُ الأشرفُ من الذّاتِ"[4].

وقولُه ﴿وَجْهَهُۥ﴾ مفعولٌ بهِ، وقدْ أضيفَ للضميرِ، وقدْ يكونُ الوجهُ بمعنَى التوجّهِ؛ لأنّه مشتقٌّ منهُ، فمعنَى مَنْ أسلمَ وجهَه "مَنْ أخلصَ توجُّهَهُ وقصدَه، بحيثُ لا يلوِي عزيمتَه إلى شيءٍ غيرِه"[5].

3) ﴿مُحْسِنٌ﴾: اسمُ فاعلٍ من المزيدِ أحسنَ فهو محسنٌ، والجذرُ اللّغويُّ لهذهِ اللّفظةِ، (حسن) ومنهُ الحُسْنُ، وأصلُ معناهُ واضحٌ، وهو نقيضُ القُبحِ[6]، وهو "عبارةٌ عن كلّ مُبهِجٍ مَرْغُوبٍ فيه ... والحَسَنَةُ يُعبّرُ عنها، عن كُلّ ما يسرُّ من نعمةٍ تنالُ الإنسانَ في نفسِه وبدنِه وأحوالِه، والسّيئةُ تضادُّها"[7].

ولا يكفِي أنْ يُسلمَ ويتواضعَ للّهِ، بلْ لا بدّ أنْ يقترنَ ذلك بأنْ يكونَ مُحسنًا، "وأنْ يكونَ تواضعُه للّهِ بفعلٍ حسنٍ، لا بفعلٍ قبيحٍ"[8].

4) ﴿أَجْرُهُۥ﴾: اسمٌ ثلاثيّ وزنُه (فَعْل)، جذرُه اللغويّ من الهمزةِ والجيمِ والراءِ، ولهُ أصلانِ في معناهُ "فالأولُ الكراءُ على العملِ، والثاني جبرُ العظمِ الكسيرِ"[9] على

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وجه).
(2) الراغب، المفردات: (وجه).
(3) السمين، عمدة الحفّاظ: (وجه).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/674.
(5) القاسميّ، محاسن التأويل: 2/224.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حسن).
(7) الراغب، المفردات: (حسن).
(8) الرازي، مفاتيح الغيب: 4/4.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر).

أنّه يمكنُ الجمعُ بينَهما، "والمعنَى الجامعُ بينَهما أنّ أجرةَ العاملِ كأنّها شيءٌ يجبرُ بهِ حالَه فيما لحقَه من كدٍّ فيما عملَه"[1] فهو إذنْ (الجَزاءُ على العَمَل)[2].

والأجرُ ما "يعودُ من ثوابِ العملِ دنيويًّا كانَ أو أخرويًّا"[3] والمقصودُ هنَا في هذهِ الآيةِ في الآخرةِ، وقدْ يُطلقُ على الثوابِ أيضًا.

5) ﴿رَبِّهِۦ﴾: اسمٌ مُضعّفٌ ثُلاثيّ (ربّ)، الجذرُ اللغويّ منه (ربب)، ولمعناهُ ثلاثةُ أصولٍ؛ الأولُ "إصلاحُ الشيءِ، والقيامُ عليه، فالربّ: المالكُ والخالقُ والصاحبُ، والربّ: المصلحُ للشيءِ"[4].

وهناكَ أصلانِ آخرانِ هما "لزومُ الشيءِ، والإقامةُ عليهِ ... والأصلُ الثالثُ: ضمُّ الشّيءِ للشّيءِ"[5] والثاني والثالثُ مناسبانِ للأصلِ الأولِ، والتحقيقُ في الأصولِ الثلاثةِ يجعلُها بابًا واحدًا.

والربُّ "الملكُ والسيّدُ والمصلحُ والصاحبُ، وكلُّها معانٍ متقاربةٌ، ولا يقالُ مطلقًا إلّا للبارِي تعالَى"[6].

و"الرَّبُّ في الأصلِ: التّربيةُ، وهو إنشاءُ الشيءِ حالاً فحالاً إلى حدّ التمامِ، يقالُ: رَبَّهُ، وربّاه ورَبَّبَهُ"[7]، وقدْ عبّرَ بالربِّ في نوالِ الأجرِ لأنّهُ" الناظرُ في مصالحِه ومربّيه ومدبِّرُ أحوالِه؛ ليكونَ ذلكَ أطمعَ لهُ، فلذلكَ أتَى بصفةِ الربِّ"[8].

6) ﴿خَوۡفٌ﴾: اسمٌ ثلاثيّ من الفعْلِ خافَ يخافُ، أصلُه (يَخْوِفُ)، ثُمّ حصلَ فيهِ إعلالٌ، فجذرُه اللغويّ (خوف)، ولهُ "أَصلٌ واحدٌ، يدلُّ على الذُّعرِ والفزَعِ، يقالُ: خِفْتُ الشَّيءَ خوفًا وخيفةً، والياءُ مُبدلَةٌ من واوٍ، لمكانِ الكسرةِ، ويُقالُ: خاوفَني فلانٌ فخفتُهُ، أَي: كُنْتُ أَشدَّ خوفًا منهُ"[9].

(1) المصدر السابق: (أجر).
(2) الزبيدي، تاج العروس: (أجر).
(3) الراغب، المفردات: (أجر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ربب).
(5) المصدر السابق: (ربب).
(6) السمين، عمدة الحفّاظ: (ربب).
(7) الراغب، المفردات: (ربب).
(8) أبو حيان، البحر المحيط: 1/564.
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خوف).

ومعنَى الخوفِ عامّةً "توقّعُ مكروهٍ عن أمارةٍ مظنونةٍ، أو معلومةٍ ... ويضادّ الخوفُ الأمنَ، ويُستعملُ ذلك في الأمورِ الدنيويةِ والأخرويةِ"(1).

والواردُ في الآيةِ بهذا المعنَى المقابلِ للأمنِ، وأكثرُ ما يردُ في القرآنِ الكريمِ من لفظِ الخوفِ هو المضادُّ لمعنَى الأمنِ(2).

7) ﴿يَحْزَنُونَ﴾: فعلٌ مضارعٌ مسندٌ لواوِ الجماعةِ، الماضِي منهُ (حزنَ)، والجذرُ اللغويّ (حزن)، وأصلُ حروفِه يدلُّ على "خشونة الشَّيءِ، وشدّة فيهِ، فمنْ ذلك الحَزْنُ، وهو ما غلظَ منَ الأرضِ"(3).

و"الحُزْنُ والحَزَنُ: خشونةٌ في الأرضِ، وخشونةٌ في النفسِ لمَا يحصلُ فيهِ من الغمِّ، ويضادّهُ الفرحُ"(4).

والحزنُ معروفٌ فهو نقيضُ الفرحِ، وهو ما يصيبُ الإنسانَ من غمٍّ وكربٍ، وهو "عبارةٌ عمّا يحصلُ لوقوعِ مكروهٍ، أو فواتِ محبوبٍ في الماضِي"(5).

"وكلُّ ما في القرآنِ من (الحُزنِ)، ومضارعُ (حزِنَ) و(حزَنَ) فهو بمعنَى الشّعورِ بالألمِ، والخشونةِ في النّفسِ والغَمِّ، ولا يتأتَّى فيهِ قيدُ فواتِ شيءٍ إلّا بتكلّفٍ"(6).

وفي نفْي الخوفِ والحزنِ "أرادَ زوالَ الخوفِ والحزنِ عنهُم في الدنيا، ومنهُم مَن قالَ في الآخرةِ في حالِ الثوابِ"(7).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

صُدِّرتِ الآيةُ بحرفِ ﴿بَلَىٰ﴾ ردًّا على أهلِ الكتابِ في ادِّعائِهم أنَّ دخولَ الجنَّةِ منحصرٌ فيهم، وإثباتًا للأصلِ العظيمِ الذي قامَ عليهِ دينُ اللّهِ تعالى، وهو أنَّ دخولَ الجنَّةِ لا يكونُ إلّا لمَن أسلمَ وجهَه للّهِ على شرطِ الإحسانِ، وعدَلتِ الآيةُ عن التَّصريحِ بدخولِ

(1) الراغب، المفردات: (خوف).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خوف).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حزن).
(4) الراغب، المفردات: (حزن).
(5) الجرجانّي، التعريفات، ص: 86.
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (حزن).
(7) الرازي، مفاتيح الغيب: 3/113.

الجنَّةِ إلى إثباتِ الأجرِ عندَ اللهِ تعالى، ونفْيِ الخوفِ من المستقبلِ، والحزنِ على الماضِي؛ فإنَّ مدارَ حياةِ الإنسانِ في الدُّنيَا عليهما، ومن نُفِي عنهُ الحزنُ والخوفُ باتَ في الجنَّةِ، ولنْ يكونَ ذلكَ إلّا لأهلِها فيهَا.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

بلاغةُ الردِّ بالأداةِ بلَى:

الجمعُ بينَ الرَّدِّ على الباطلِ، وإثباتِ نقيضِهِ

جيءَ بـ﴿بَلَىٰٓ﴾ ردًّا على ادِّعاءِ أهلِ الكتابِ في انحصارِ دخولِ الجنَّةِ فيهم، وهي إمَّا أنْ تُحملَ على الرَّدِّ المجرَّدِ، ويكونَ ما بعدَها استئنافُ كلامٍ، وفي هذا الوجهِ تُفيدُ قوَّةَ الرَّدِّ على أهلِ الكتابِ، وإمَّا أنْ يُحملَ ما بعدَها على أنْ يكونَ فاعلًا لفعلٍ محذوفٍ تقديرُه: يدخلُها منْ أسلمَ[1]، فتُفيدُ الرَّدَّ عليهم، وإثباتَ عكسِ ادِّعائِهم؛ والوجهانِ بليغانِ في الرَّدِّ على الأباطيلِ المرجفةِ تخليةً، وإثباتِ الحقِّ لأهلِه تحليةً.

نكتةُ استعمالِ ﴿مَنْ﴾:

اجتماعُ العمومِ بدلالةِ الشَّرطِ

لاستعمالِ ﴿مَنْ﴾ في هذا السِّياقِ غرضانِ بيانيّانِ، أحدُهما: دلالتُها على العمومِ، فدخولُ الجنَّةِ ليسَ منحصرًا بأحدٍ، أو بطائفةٍ، فإنَّ دخولَ الجنَّةِ متاحٌ لكلِّ مَن أسلمَ وجهَه للهِ وهو محسنٌ، والثَّانيةُ: إشرابُها معنَى الشّرطِ، فلا يدخلُ الجنَّةَ إلاّ منِ اكتملَ فيه شرطُ الإسلامِ الصَّحيحِ، اعتقادًا وعملًا، وفي ذلكَ إيجازٌ بديعٌ بتخصيصِ العامِّ بالشّرطِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الفعلِ الماضِي:

التَّعريضُ بأهلِ الكتابِ

جاءَ فعلُ ﴿أَسْلَمَ﴾ بصيغةِ الماضِي دونَ المضارعِ؛ للتَّعريضِ بمَنْ لم يُسلمْ وجهَه للهِ، ولوْ قالَ: "مَن يسلمْ" لمَا أفادَ التَّعريضَ، ذلك

(1) الزمخشري، الكشّاف: 1/178.

أنَّ الفعلَ المضارعَ يُفيدُ التَّجدُّدَ والاستقبالَ، والمقصودُ إثباتُ دخولِ الجنَّةِ لمنْ أسلمَ وجهَه للّهِ، والتَّعريضُ بالمخالفِ لهذهِ الحالةِ، فدلالةُ المُضيِّ تُستنبطُ من سياقِ الكلامِ لا من ذاتِ الصِّيغة، وهو الملائمُ للرَّدِّ بـ﴿بَلَىٰٓ﴾.

توجيهُ المخصوصِ بالذِّكرِ:

تـخـصـيـصُ الـوجـهِ بـالـذِّكـرِ لشرَفِه على بقيَّةِ الأعضاءِ

خَصَّتِ الآيةُ الوجهَ بالذِّكرِ دونَ بقيَّةِ الأعضاءِ، فلمْ يقلْ: "مَن أسلمَ نفسَه"، أوْ "منْ أسلمَ قلبَه"؛ "لأنَّهُ أشرفُ الأعضاءِ، ومجمعُ المشاعرِ، وموضعُ السجودِ، ومظهرُ آثارِ الخضوعِ"[1]، ولـمّا كانَ الخضوعُ والانقيادُ والتسليمُ قدْ حصلَ بأشرفِ الأعضاءِ، فإنّ غيرَه أولَى بهذَا التواضعِ والخضوعِ، وفيهِ إشارةٌ إلى "أعظمِ العباداتِ؛ السّجدةُ، وهي إنّمَا تحصلُ بالوجهِ، فلا جرمَ خُصَّ الوجهُ بالذِّكرِ"[2]، وهي دليلٌ على خضوعِ العبدِ، وأنّ الإنسانَ يصلُ في سجودِه إلى أعلَى مراتبِ القُربِ منه تعالى، وهو إنّمَا يحصلُ بوجهِ الإنسانِ، قالَ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء»[3].

ارتباطُ الإحسانِ بالتّسليمِ:

إتـيـانُ جـمـلـةِ الحالِ متضمِّنةً معنَى الشَّرطِ

جملةُ: ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ المكوَّنةُ من واو الحالِ، والمبتدأ، والخبرِ حاليّةٌ، ومعناهَا: مَن يُسلمْ وجهَه للّهِ حالَ كونِه محسنًا، ففي جملةِ الحالِ معنَى الشَّرطِ، أيْ: على من يُسلمْ وجهَه للّهِ أنْ يكونَ مُحسنًا، فلا الإخلاصُ وحدَه بنافعٍ، ولا الحسنُ وحدَه كذلك، و"لا بُدّ وأنْ يكونَ تواضعهُ للّهِ بفعلٍ حسنٍ لا بفعلٍ قبيحٍ، فإنّ الهندَ يتواضعونَ للّهِ لكنْ بأفعالٍ قبيحةٍ"[4]، فحقيقةُ الإحسانِ هو الامتثالُ لأوامرِ الشَّرعِ؛ فلا يكفِي ادِّعاءُ الإسلامِ، بلْ لا بدَّ معَه منَ الإحسانِ.

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 2/224.
(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 4/4.
(3) مسلم، المسند الصحيح المختصر: (482).
(4) الرازي، مفاتيح الغيب: 4/4.

نكتةُ التّقديمِ والتّأخيرِ:

إفادةُ التّشويقِ لدى المخاطَبِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ على قولِه: ﴿أَجْرُهُمْ﴾؛ لإفادةِ التّشويقِ؛ فإنَّ نفسَ المُسلِّمِ وجهَه للّهِ تترقَّبُ معرفةَ ما أُعدَّ لها، وإضافةُ (أجرِ) إلى الضَّميرِ ممَّا يقوِّي عنصرَ التّشويقِ فهو أجرُه المكتوبُ لهُ، المحفوظُ عندَ ربِّه.

إيثارُ عنوانِ الربوبيّةِ على الألوهيةِ:

الإشعارُ بالطُّمأنينةِ والسَّكينةِ لمَا يكونُ للعبدِ في الآخرةِ

ذُكرَ لفظُ الربوبيَّةِ دونَ الألوهيّةِ في قولِه تعالَى: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ لأنّ الربَّ هو "النَّاظرُ في مصالحِه ومربِّيه ومدبّرُ أحوالِه؛ ليكونَ ذلكَ أطمعَ لهُ، فلذلك أتى بصفةِ الرّبِّ"[1]، وفي ذلك إشعارٌ للمحسنِ بالطُّمأنينةِ والاستقرارِ؛ فإنَّ الذي خلقَه وربَّاهُ في أحسنِ صورةٍ هو الذي سيربي لهُ أجرَه في الآخرةِ "وهو عبارةٌ عن دخولِ الجنّةِ، وتصويرُه بصورةِ الأجرِ؛ للإيذانِ بقوةِ ارتباطِه بالعملِ"[2]، وهو ما يُورِّثُ الطَمأنينةَ في النّفوسِ.

نكتةُ تخصيصِ نفْيِ الخوفِ والحزنِ بالذكرِ:

نفيُ الخوفِ والحزنِ زيادةٌ في التّطمينِ

قولُه تعالَى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وردَ مثلُ هذا التعبيرِ في مواضعَ ليستْ قليلةً تصلُ إلى اثنَي عشرَ موضعًا، وجاءتْ كلّها في سياقاتِ المدحِ والتّطمينِ "ولـمّا كانَ الخوفُ والحزنُ متلازمينِ كانتْ خصوصيَّةُ كلٍّ منهما ساريةً في الآخرِ"[3] وهذه الجملةُ هنا معطوفةٌ بالواوِ على ما سبقَ من صفاتِ الذي يُسلمُ وجهَه للّهِ وهو محسنٌ، فبعدَ أنْ بيّنَ صفاتِهم تلك زادَ عليها نفيَ الخوفِ "فأمّا الخوفُ فلا يكونُ إلَّا منَ المستقبلِ"[4]، وهنا نفَى عنهم الخوفَ والحزنَ زيادةً في تطمينِهم.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/564.
(2) القاسميّ، محاسن التأويل: 2/224.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/541.
(4) الرازي، مفاتيح الغيب: 4/4.

تقديمُ نفي الخوفِ على نفي الحزنِ:

الـخـوفُ من مقدّماتِ الحزنِ ولا عكسَ

ثمّ عطفَ عليهِ: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، نفَى عنهم الحزنَ، و﴿يَحْزَنُونَ﴾ جملةٌ فعليةٌ تفيدُ الحالَ أو الاستقبالَ، في محلِّ رفعِ خبرٍ، "وأمَّا الحزنُ فقدْ يكونُ منَ الواقعِ والماضِي، كما قدْ يكونُ منَ المستقبلِ"[1]، وفي تقديمِ الضّميرِ الدالِّ على المنفيّ عنهم الحزنُ، فيهِ تخصيصُ هؤلاءِ بنفي الحزنِ عنهم زيادةً في مدحِهم، وقدْ قدّمَ نفيَ الخوفِ على نفي الحزنِ؛ لأنّ الخوفَ من مقدّماتِ الحزنِ ولا عكسَ، فالخائفُ يكونُ حزينًا، وليسَ شرطًا أنْ يكونَ الحزينُ خائفًا؛ فقدّمَ السببَ وأخّرَ النتيجةَ.

سرُّ التّغايرِ بينَ الاسمِ ﴿خَوْفٌ﴾ والفعلِ ﴿يَحْزَنُونَ﴾:

دلالـةُ الاسـمِ عـلى الـثـبـاتِ، والـفـعـلِ على التغيّرِ

في قولِه تعالَى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الواردِ كثيراً في القرآنِ الكريمِ فكأنّه صارَ كالمثلِ، جاءَ بالخوفِ اسمًا، وجاءَ بـ﴿يَحْزَنُونَ﴾ فعلاً مضارعاً، فأمّا نفيُ الخوفِ فجاءَ "لإفادةِ نفي جنسِ الخوفِ نفيًا قارًّا، لدلالةِ الجملةِ الاسميةِ على الدوامِ والثباتِ"[2]، أمّا عدمُ التعبيرِ بالاسمِ كالأولِ "ليتأتَّى بذلك بناءُ المسندِ الفعليّ على ضميرِهم، فيدلّ على أنّ الحزنَ واقعٌ بغيرِهم، وهم الذينَ كفرُوا"[3]، وهو مفهومٌ من نفي الحزنِ عن الذينَ آمنُوا.

وأحسنُ منهُ ما نقلَه الفخرُ الرازيّ عن ابنِ عباسٍ بأنّه: "لا خوفَ عليهم فيمَا يستقبلُهم من أحوالِ القيامةِ، ولا همْ يحزنونَ بسببِ ما تركوهُ في الدنيَا"[4]، فالحزنُ في الدنيَا أو عليهَا، وأمرُ الدنيا متغيّرٌ ليسَ بثابتٍ، والحزنُ مقترنٌ بالآخرةِ، وهي دارُ القرارِ؛ فعبّرَ بالاسميةِ عن دارِ القرارِ، وبالفعليةِ عن دارِ الابتلاءِ؛ فجاءَ النظمُ متوافقًا مع الاثنينِ، متناسبًا ثباتًا وتغيّرًا.

(1) المصدر السابق: 4/4.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/540.
(3) المصدر السابق: 8/110.
(4) الرازي، مفاتيح الغيب: 7/104.

سرُّ التَّغايرِ بينَ الإفرادِ والجمعِ:

الألفاظُ توابعُ المعنَى، وكواشفُ الدّلالةِ

وقعَ تغايرٌ بينَ الإفرادِ والجمعِ في قولِه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، فجاءَ الإفرادُ في صدرِ الآيةِ في: ﴿أَسْلَمَ﴾، و﴿وَجْهَهُۥ﴾، و﴿وَهُوَ﴾، و﴿مُحْسِنٌ﴾، و﴿فَلَهُۥٓ﴾، و﴿أَجْرُهُۥ﴾، و﴿رَبِّهِۦ﴾، بينَما جاءَ الجمعُ في قولِه: ﴿عَلَيْهِمْ﴾، و﴿هُمْ﴾، و﴿يَحْزَنُونَ﴾، فالنَّظم "أَجْرَى الأوّلَ على لفظِ الواحدِ، والآخِرَ على المعنَى"[1]، فما جاءَ مفردًا رجعَ إلى ﴿مَنْ﴾، فلفظُها مفردٌ، ومعناها جمعٌ، فروعِيَ الإفرادُ اللفظيّ، وأمَّا الجمعُ فلمراعاةِ معنَى ﴿مَنْ﴾ وهنَا يُسألُ عن سرِّ تلك المراعاةِ، فهلْ جاءتْ لسببٍ معنويٍّ بلاغيّ؟ أوْ أنَّها جاءتْ تفنّنًا لفظيًّا؟

والصَّحيحُ أنَّ الأمرَ عائدٌ إلى المعنَى، فالآيةُ جمعتْ بينَ الحديثِ عن صفاتِ كلِّ مسلمٍ وحدَه باعتبارِه الفردِيّ، وبينَ الحديثِ عن مآلِ الجميعِ؛ أمّا المعنى الإفرادِيّ فاستقلَّ بما يجبُ على كلِّ مسلمٍ، وأمّا المعنَى الجمعيّ ففيمَا يشتركُ فيه الجميعُ؛ فإنَّ الخوفَ والحزنَ إذا وقعَا أصابَا الجميعَ، وإذَا ارتفعَا نجَا منهما الجميعُ.

(1) سيبويه، الكتاب: 1/65.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»